wadod.org

المؤرخ البغدادي يعقوب سركيس

الأستاذ معن حمدان علي

عاشت حلب صلات تجارية وثيقة بالعراق حتى نهاية القرن السابع عشر ميلادي، لكونها من محطات انتقال التجارة من أوروبا إلى آسيا وبالعكس. ولتطور وسائل النقل التجاري فقد هذا الطريق الكثير من أهميته[١]، مما دفع بالكثير من العوائل التجارية الحلبية الانتقال الى العراق ـ الذي بقي محافظاً على نشاطه التجاري ـ والتمركز في مدنه الكبرى مثل بغداد والبصرة.

ومن هذه الأسر التجارية؛ آل عبود، الذين انتقلوا من حلب الى بغداد (غرة شعبان من سنة ١٢١٥هـ الموافق ٦ كانون الأول سنة ١٨٠٠م)[٢]. اشتهر من هذه الأسرة الوجيه فتح الله بن نصر الله عبود، الذي استقر في بغداد بعد البصرة، وسكن في محلة رأس القرية قرب جامع الخاصكي، وهو صاحب الخان المعروف باسمه في منطقة تحت التكية[٣]، والذي عرف باهتماماته التاريخية والأدبية، فقد ذكرت المصادر إهداءه نسخة من مقامات ابن ماري المسيحي الى مكتبة جامع الحيدر خانة[٤]، وانتخب عضواً في مجلس ولاية بغداد؛ ومن جراء خدماته منح رتبة

---

(١) جب، بوون: المجتمع الاسلامي والغرب، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم، القاهرة ١٩٧٧، ١/ ٤٤.

(٢) يعقوب سركيس: مباحث عراقية، بغداد ١٩٤٨، ١/ ٤٥.

(٣) هو خان (اللكي) محرف (أللي أيكي) التركية؛ ومعناها اثنان وخمسون، وهو رقم الفوج العسكري العثماني الذي كان مستقراً به، اشتراه فتح الله عبود حدود سنة ١٨٧٠م، واحترق هذا الخان في ٧ رمضان ١٢٢١هـ/ ٢تشرين الأول ١٩٠٨م في عهد حفيده لطف الله بن نصر الله وموضعه الآن البناية السامقة التي تفصل بين سوق الشورجة وسوق تحت التكية من جهة شارع الرشيد.

ـ يعقوب سركيس: مباحث عراقية ١/ ٨، ٢/ ١٧٦، فخري الزبيدي: بغداد من ١٩٠٠ ـ ١٩٣٤، بغداد ١٩٩٠ ص١٧.

(٤) فيليب طرازي: خزائن الكتب العربية في الخافقين، بيروت ١٩٤٨، ١/ ١١، جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة =

wadod.org

شرفية هي رئيس الحجاب (قبوجي باشي) توفي سنة ١٣١٢هـ - ١٨٩٤م[١].

ومنها أسرة سركيس التي انتقلت الى بغداد في مطلع القرن التاسع عشر أيضاً واستقرت بها، رأس هذه الأسرة آكوب جان بن سركيس؛ الذي تزوج أخت فتح الله عبود[٢] وأنجب منها بكره نعمة الله والذي عرف بـ(نعوم) المولود في بغداد سنة ١٨٣٠م.

اشتغل نعوم سركيس في تجارة الحبوب والصوف؛ التي جعلته معروفاً في سوق الشيوخ لتردده وإقامته فيها من سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م[٣]، وقد اشتهر بأمانته وإخلاصه، فقرَّبه الأمير السعدوني ناصر باشا شيخ المنتفق سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م واتخذه محاسباً له لضبط واردات المشيخة مع بقائه على تجارته، وكان ذلك سبباً في يساره وثروته، وهو مؤسس مدينة الشطرة الحديثة؛ التي اتخذها أولاً مخزناً للمحاصيل الزراعية، وحين جفَّ نهر الخليلية المتفرع من الفرات والذي كانت الشطرة القديمة معتمدة عليه كلياً في زراعتها، اضطر أهلها للهجرة تباعاً إلى الشطرة الحديثة، وكان ذلك في حدود سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م[٤].

صاهر نعوم سركيس خاله فتح الله عبود على ابنته (أميليا)[٥] نهاية العقد السادس من القرن التاسع عشر الميلادي، فأنجبت له مؤرخنا يعقوب؛ وأخوته يوسف وفريدة وجوزفين.

ولادته:

رغم أن يعقوب سركيس يذكر أن ولادته كانت في شهر آب من عام

= العربية، بيروت، دار مكتبة الحياة ٤/ ٤٩١.

(١) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد ١٩٥٦، ٨/ ١٢٣، شاكر جابر: من تاريخ الكرادة الشرقية، بغداد ١٩٩٠، ص٢٤٢، حارث غنيمة: رحلة يوسف غنيمة الى اوروبا، بغداد، ص٢١.

(٢) يعقوب سركيس: شهداء حلب، لبنان - حريصا ١٩٣٤ (المقدمة).

(٣) يعقوب سركيس: مباحث عراقية ١/ ٢٧٩.

(٤) د.عبدالله فياض: مشكلة الأراضي في لواء المنتفك، بغداد ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ص١٢٨، باقر الشبيبي: تاريخ الشطرة ص٣٥٤، ملحق (العشائر العراقية) للدكتور عبد الجليل الطاهر، بيروت ١٩٧٢، عبد الرزاق الحسني: العراق قديماً وحديثاً، ص١٧٠.

(٥) حكمة رحماني: أنساب نصارى بغداد (مخطوط).

wadod.org

١٨٧٦م[١]، وهو مأمون على ذلك، وأكد هذا التاريخ؛ وبالتحديد اليوم الحادي والعشرين من آب، روفائيل بطي ومير بصري ويوسف أسعد داغر[٢]، إلاَّ أن هناك روايات أخرى، وهي:

١ - اعتمد الشيخ وداي العطية في تدوين «تاريخ الديوانية» على مجموعة كبيرة من الشخصيات التي عاصرت أحداث تلك المنطقة؛ ومنها يعقوب سركيس، وقد أشار إلى أن عمره (حوالى اثنان وثمانون سنة)، ومن تضاعيف الكتاب نعلم أنه دوَّن أكثر المعلومات سنة ١٩٥٣م إن لم نقل أقل من هذا التاريخ، وبعملية حسابية بسيطة يظهر فيها أن ولادته كانت سنة ١٨٧١م[٣].

٢ - وفي موسوعة أعلام العراق للأستاذ حميد المطبعي ذكر المؤلف الفاضل أنه أول من اكتشف تاريخ ولادة سركيس وهو سنة ١٨٧٥م ولم يسبقه أحد[٤]!!

لقد اعتبرت رواية العطية هي الأقرب إلى الصحة؛ لأن مؤلف تاريخ الديوانية كان يسأل من اعتمد على روايتهم التي دوَّنها عن أعمارهم ويثبتها في كتابه، كما أني وجدت في مكتبة سركيس الخاصة كتاب «الرد على الدهريين، رسالة في إبطال مذهب الدهريين وبيان مفاسدهم» لجمال الدين الأفغاني المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٥م؛ كتب على صدر الصفحة الأولى منه «بغداد ١٨٨٦ من كتب يعقوب سركيس».

وهذا ما يرجح أن يكون عمره قد بلغ منتصف العقد الثاني؛ إن لم يتجاوزه بسنة أو أكثر، حيث ان من الصعب أن يثير كتاب (الرد على الدهريين)؛ أو تدوين تاريخ حيازة الكتاب بهذه الطريقة اهتمامات صبي ذي عشر سنين.

حياته:

حينما بلغ يعقوب سن التعلم أدخل في مدرسة القديس يوسف للاتين

(١) يعقوب سركيس: مباحث عراقية ١/ ز، ٢٩٣، ٢/ هـ.

(٢) مقدمة مباحث عراقية القسم الثاني، مجلة المعارف النجفية العدد (٢ - ٣) السنة الثانية ١٩٦٠، ص٦٩، مصادر الدراسة الأدبية، بيروت ١٩٧٢، ٣/ ٥٣٥.

(٣) وداي العطية: تاريخ الديوانية، النجف الأشرف ١٩٥٤، ١٨٩، ٣٣٦.

(٤) حميد المطبعي: موسوعة أعلام العراق، بغداد ١٩٩٨، ٢/ ١٤٩.

wadod.org

يعقوب سركيس

wadod.org

(مدرسة الآباء الكرمليين)، درس فيها العربية والفرنسية والتركية، ثم عُيِّن فيها معلماً بعد تخرجه سنة ١٨٩٢م لغياب المعلم، ولم يمارس التعليم إلاَّ أمداً وجيزاً حيث فضَّل له والده إلحاقه كاتباً لدى بعض البيوت التجارية ليتقن المعاملات والحسابات التجارية، لكنه فجع عام ١٨٩٣م بوفاة والده، فتعهده عمه بولس سركيس للاشراف على أملاك والده؛ وهي الأراضي الزراعية الواسعة في (المنتفق)، والتي اشتراها والده بعد بيع مدحت باشا تلك الأراضي باسم التفويض[١]، وكانت تقدر نحو ٢٠٠ ألف دونم[٢]، بالاضافة الى بساتين في محلة السنك في بغداد، حين كانت نهاية بغداد الجنوبية منتهية قرب جسر السنك الحالي أو حواليه، وكانت الأولى مسجلة باسم يعقوب وشقيقه يوسف، والأخرى مسجلة باسم جوجو (جوزفين) سركيس[٣].

أمضى مؤرخنا أربعين سنة أو نحوها، يخرج كل سنة في مواسم الزراعة والحصاد الى أنحاء الشطرة والحي وقلعة صالح والناصرية متفقداً أملاك الأسرة الزراعية؛ ابتداءً من شهر أيلول سنة ١٨٩١م حيث كانت أول سفرة له[٤]، وكانت هذه الفترة من حياته قد أغنت تجاربه في الحياة، حيث أصبح على خبرة واسعة بعادات وتقاليد العشائر ورسومها من خلال مشاركتهم في العيش؛ والمبيت في الخيام والقرى النائية وركوب الخيل، وكثيراً ما كان يعتز بهذه الفترة من حياته؛ مفتخراً بها معبراً عن ذلك بأنه نصف بدوي أو فلاح[٥].

---

(١) إن نظام تفويض الأراضي هذا هو أحد أخطاء مدحت باشا الجسيمة في العراق. لقد كان هذا النظام سبباً رئيسياً في تحول شيوخ العشائر المتنفذين الى طبقة اقطاعية، كما تحول الاقتصاد من اكتفاء ذاتي الى اقتصاد قائم على الربح؛ فقد فيه الفلاح الكثير من الامتيازات؛ حتى الانسانية منها.
راجع شكري محمود نديم: دراسة أحوال العراق في مرحلة المشروطية الثانية ص٤١ (رسالة دكتوراه غير منشورة).

(٢) عبد الرزاق أحمد: دور المجددين في الحركة الفكرية السياسية في العراق ١٩٠٨ ـ ١٩٣٢، ص١ (رسالة دكتوراه غير منشورة)، محمد عصفور سلمان: العراق في عهد مدحت باشا ص١٠٦، (رسالة ماجستير غير منشورة).

(٣) جريدة الوقائع العراقية العدد ٦٦٢ في ٢١/٦/١٩٢٨.

(٤) يعقوب سركيس: مباحث عراقية ١/ ٢٩٣.

(٥) مجلة المعارف النجفية.

wadod.org

ورث يعقوب سركيس منذ نعومة أظفاره هواية ملكت حياته بعدها؛ وهي جمع الوثائق والرسائل والمخطوطات والكتب، كما مرَّ بنا امتلاكه كتاب الأفغاني في مراهقته. وقد أشار إلى ما تركه جده لأمه فتح الله عبود قائلاً: «.. وهذه الأوراق... كان ينصرف قدرها على نحو عشرين صندوقاً... وقد حوت أعمالاً تجارية متسلسلة التواريخ حتى صدر القرن العشرين، عائدة كلها إلى الأسرة المذكورة، وفيها من الكتب المخطوطة وغيرها ما يقدّر وجوده، وكان قد اهتم بحفظه الخلف عن السلف، ومن هذه الأوراق ما هو مختص بأحدهم؛ فتح الله عبود الذي عرفه الكثير من معاصرينا، وكان يعني بالأوراق المنتقلة اليه أشد الاعتناء منذ حداثة سنه، وقد زادها ما اقتناه بذاته، فكان يدوّن الوقائع في تقاويمه اليومية كما كان يفعل سلفه، هذا فضلاً عما حوته مفاوضاته التجارية والأهلية من الشؤون الجمة، وكنت ترى عنده الجرائد نفسها عن السنين المتعددة الطويلة مجموعة مجلدة؛ ومنها (الزوراء) منذ ابتداء انتشارها. ولحسن الحظ كان قد بقي من هذه الأوراق في دار السكنى الصندوق الذي ساقني الى هذا المقال..»[١].

ثم استبدَّت به هذه الهواية فجمع خزانة كتب فريدة تضم عدة آلاف من النفائس النادرة بمختلف اللغات، مع أنه يتقن الى جانب لغته العربية الفرنسية والعثمانية ويحسن الفارسية والانجليزية. وكل تلك المصادر تهم تاريخ العراق من قريب أو بعيد، وخصوصاً الفترة المحصورة ما بين سقوط الدولة العباسية الى الحرب العالمية الأولى؛ وهي الفترة التي اختص بها، مثل كتب التاريخ والرحلات والخطط واللغة والأدب وغيرها، حتى انه كان يكلف بتعريب الكتب التي طبعت بلغة لا يعرفها من يحسن تلك اللغة؛ شفاهاً إن تعذر كتابة. كما حوت مكتبته على مجموعة كبيرة من نوادر المخطوطات[٢] التي كان يقتنيها شراءً أو يطلب استنساخها.

ففي رسالة له يذكر فيها للأب الكرملي أنه قابل المؤرخ عباس العزاوي في

(١) مباحث عراقية ١/٩، وتاريخ نشر هذا المقال أيار ١٩١٣. وقد كان هذا الصندوق مصدراً لكثير من مقالات سركيس في الأقسام الثلاثة من مباحثه.

(٢) راجع كوركيس عواد: فهرس مخطوطات خزانة يعقوب سركيس المهداة الى جامعة الحكمة، بغداد ١٩٦٦.

wadod.org

«مكتبة نعمان الأعظمي، وكانت هناك طائفة من الكتب المطبوعة والمخطوطة قد جلبت من النجف، وكنت قد نظرت فيها قبل مجيئه ولم أعثر على ما يروقني..»[١]. وفي رسالة أخرى يطلب من الأب قائلاً: «.. ان ما تريدون أن تطلبوا منه استنساخ كتاب التاريخ؛ أن ينقل لنا ما يجده في أول الكتاب وآخره من أسماء..»[٢].

مؤلفاته:

أشرف سركيس على الخمسين حين أصدر الأب الكرملي مجلته لغة العرب سنة ١٩١١م، ولم يعرف عنه أنه نشر مقالة أو كلمة، ولصلته بالأب الذي شجَّعه على تدوين معلوماته ونشرها. كتب مقالته الأولى بعنوان (خواطر في المنتفق وديارهم) بتوقيع (منتفقي)، فنشرها الأب في السنة الثانية من لغة العرب (عدد حزيران ١٩١٢م)، إلاَّ أن سركيس أغفل نشرها في كتابه مباحث عراقية؛ والقسم الأول منه بالخصوص لأنه احتوى على مقالاته المنشورة في (لغة العرب) فقط، مشيراً إلى أن يداً تلاعبت بها[٣].

كانت هذه المقالة فاتحة عهد جديد في حياته، فقد واصل الكتابة بعدها في مجلات عديدة مثل (غرفة تجارة بغداد) و(عالم الغد) و(سومر) و(مجلة المجمع العلمي العراقي) و(النور) البغدادية، و(النجم) و(الجزيرة) الموصلية، و(الاعتدال) و(البيان) النجفية، و(المقتطف) و(المجلة السورية) المصرية، و(القربان) و(الشهباء) الحلبية. وكذلك نشر المقالات في الصحف البغدادية التي منها (البلاد) و(الزمان) و(العراق) و(الأخبار) و(الشعب) و(الطريق) و(الأوقات).. وغيرها.

«مقالات لم تُطرق من قبل، تتسم بالجدة والطرافة وتمتاز بالابتكار والموضوعية، وهو يلقي أضواء كشافة على كثير من الأحداث التي رافقت العراق

(١) معن حمدان علي: المنتخب من رسائل يعقوب سركيس الى الأب أنستاس ماري الكرملي، مجلة بين النهرين العدد (١٠١ ـ ١٠٢) ١٩٩٨.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) مباحث عراقية: مقدمة القسم الأول وتمهيد القسم الثالث.

wadod.org

في فترة الحكم العثماني؛ والتي كاد غبار النسيان يتراكم عليها، مضافاً إلى ما يحويه من الفصول الشيّقة التي تجلب المتعة والفائدة في آن واحد، ولا يستغني عن مطالعته عشّاق الأدب وطلاّب العلم وروّاد التاريخ. ليعقوب أسلوب في الكتابة امتاز به، وقد أصاب روفائيل بطي كبد الحقيقة حين وصفه بأسلوب العلماء لامتيازه بالمادة الدسمة والمراجع القصية وبلاغة الحقائق لا الديباجة المشرقة والبيان العذب وفصاحة الكلم»[١].

وقد صدرت أولاً بعض مقالاته مستلة من المجلات، وهي:

١ ـ تلو أو تل هواره. بغداد ١٩٣١.

٢ ـ مقدمة (تذكرة الشعراء أو شعراء بغداد وكتابها في أيام وزارة داود باشا والي بغداد. بغداد ١٩٣٩.

٣ ـ التتن والقهوة في العراق مع كلام على بعض النقود العثمانية وغيرها. بغداد ١٩٤١.

٤ ـ واردات العراق بين عهدين. بغداد ١٩٤١.

٥ ـ كمرك بغداد في عهد السلطان مراد الرابع وخلفه السلطان ابراهيم من سنة ١٠٤٩ الى سنة ١٠٥٦هـ/ ١٦٣٩ ـ ١٦٤٦م. بغداد ١٩٤٢.

٦ ـ الأب الكرملي وكتابه النقود العربية وعلم النميات. بغداد ١٩٥٠[٢].

وبعد إلحاحٍ شديد من أصدقائه جمع مقالاته في كتاب سماه (مباحث عراقية.. في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد) فأصدر القسم الأول سنة ١٩٤٨م بمقدمة الشيخ محمد رضا الشبيبي، ثم أصدر القسم الثاني سنة ١٩٥٥م وقد قدمه روفائيل بطي، وأخيراً وليس آخراً صدر القسم الثالث سنة ١٩٨١م باعداد صاحب هذا المقال، وسيكون القسم الرابع مكملاً لأغلب ما كتب إن شاء الله تعالى.

لقد بيّن الدكتور عماد الجواهري أهمية (مباحث عراقية) في مقال له بعنوان

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) كوركيس عواد: معجم المؤلفين العراقيين بغداد ١٩٦٩. ٣/ ٤٧٠.

wadod.org

(مجلة لغة العرب مصدراً لتاريخ العراق)، قائلاً: «.. فإن بوسعنا أن نشير الى عدة مؤلفات طرحت من رحم مجلة لغة العرب، في حين ولدت أفكار مؤلفات أخرى غداة نشر بعض المقالات المثيرة للاهتمام. لقد أصبحت هذه المؤلفات من أهم مصادر تاريخ العراق في مختلف مراحله، ولعلَّ أهم هذه المؤلفات هو (مباحثات عراقية في الجغرافية والآثار...»[١].

وكان قبلها قد نشرت له مجلة (المسرة اللبنانية) كتاب (شهداء حلب) سنة ١٩٣٤م ضمن سلسلة منشوراتها، وهو يحمل رقم(٥) منها، وجد سركيس في مخطوطاته وثائق تستدرك على كتاب أصدرته المجلة بالعنوان نفسه فاعتبرت كتابه متمماً له ولذلك كُتب على غلافه الجزء الثاني.

نشاطه الثقافي والاجتماعي:

جمع مؤرخنا بين الثقافة والثراء؛ وقلَّ ما تجتمع في شخص واحد، فكان وجهاً اجتماعياً متميزاً، ولذلك نجده عضواً في مختلف الجمعيات والنوادي الثقافية والاجتماعية، ومنها:

١ ـ جمعية الهلال الأحمر العثمانية: أسست الدولة العثمانية ابان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) هيئة مركزية للجمعية في بغداد، وكان من أعضاء هذه الهيئة المنتخبة من وجوه بغداد وشخصياتها[٢].

٢ ـ تأسست مكتبة السلام في بغداد سنة ١٩٢٣م، وهي نواة المكتبة الوطنية، ثم رشحت أسماء أهل الخبرة والثقافة لعضوية لجنة المكتبة، وكان من بينها يعقوب سركيس الذي فاز بالانتخاب[٣].

٣ ـ احتفلت بغداد بالعلامة الكرملي بمناسبة بلوغه الخمسين فألَّفت لجنة برئاسة الشاعر الزهاوي؛ من نخبة من أدباء بغداد وأعيانها، وكان سركيس عضواً فيها، وقد شارك بموضوع (عم سعدون؛ مغامس المانع والأب الكرملي) والذي

(١) مجلة الحكمة، العدد الأول، السنة الأولى ١٩٩٧م.
(٢) د. مصطفى الشريف: جمعية الهلال الأحمر، مجلة الأم والطفل، العدد ٣٨٠ آب ١٩٧٨.
(٣) جريدة العراق، العدد ٨٩٤ في ٢٤ نيسان ١٩٢٣م.

wadod.org

خلاصته صلة آل السعدون بالكرمليين قديماً، لصلة ذلك بالحفلة التي أقيمت في دار عبد المحسن السعدون في سنة ١٩٢٨م[١].

٤ ـ جمعية الهلال الأحمر العراقية: انتخب فيها بتاريخ ٣١/ ٣/ ١٩٣٥م ضمن الهيئة الادارية للجمعية، ثم انتخبته الهيئة مفتشاً عاماً للجمعية في ٥ نيسان ١٩٣٥م[٢].

٥ ـ نادي القلم العراقي: أجازت وزارة الداخلية تأسيس هذا النادي سنة ١٩٣٤م، وقد أشارت المادة الثانية من النظام الأساسي للنادي أن غاية النادي هي: (تعارف المؤلفين وحملة الأقلام، وإحكام الروابط بينهم وتعزيز الأدب العربي وتعضيد البحث وإيجاد الصلات بين حملة الأقلام في العراق وأقرانهم في البلاد الأخرى). وقررت المادة الثالثة من النظام أن تتوفر في العضو (شخصية أدبية أو علمية). وكان مؤرخنا عضواً في النادي سنة ١٩٣٧م[٣].

٦ـ لجنة تسمية شوارع بغداد: أَلَّفت (أمانة العاصمة) سنة ١٩٣٦م لجنة من الشخصيات البغدادية المثقفة لغرض تبديل أسماء شوارع بغداد القديمة، وكان سركيس من ضمن أعضاء هذه اللجنة[٤].

٧ ـ المجمع العلمي العراقي: انتخب سركيس عضواً فخرياً فيه للسنوات ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤م[٥].

٨ ـ واختير في لجان عدة انسانية منها:

أ ـ لجنة الاكتتاب العام لمساعدة منكوبي سورية في أحداث سنة ١٩٣٦م[٦].

ب ـ لجنة الاكتتاب العام لمساعدة عوائل الشهداء المتضررين من جراء

---

(١) مباحث عراقية ١/ ٢٠٢.

(٢) الدليل الرسمي العراقي لسنة ١٩٣٦م ص٨٥١، فخري الزبيدي: بغداد من ١٩٠٠ ـ ١٩٣٤م، ص٣٠١، د. مصطفى الشريف: مجلة الأم والطفل.

(٣) عبد الكريم الازري: تاريخ في ذكريات العراق، بيروت ١٩٨٢م ص٦٤، حارث غنيمة: الأديب السياسي يوسف غنيمة، ص٢٩٨.

(٤) معن حمدان علي: المنتخب من رسائل يعقوب سركيس، مجلة بين النهرين.

(٥) سالم الالوسي: المجمع العلمي العراقي في خمسين عاماً، بغداد ١٩٩٧م ص٧٦، ٨١.

(٦) جريدة الوقائع العراقية العدد ١٤٩٦ في ١٦/ ٣/ ١٩٣٦م.

wadod.org

الأعمال التأديبية في شمال العراق سنة ١٩٤٨م[١].

ج - لجنة الاكتتاب العامة لجمع مبلغ خمسين ألف دينار لغرض إعانة عوائل الشهداء والجرحى في مظاهرات سنة ١٩٤٨م (ضد معاهدة بورت سموث)[٢].

جوانب من شخصيته:

إن رسائل يعقوب سركيس قد سلّطت الضوء على شخصيته؛ وأنارت لنا بعض الجوانب المهمة من حياته؛ والتي لفّها الغموض لعدم اهتمام أحد بها مع أنه يعدّ من ألمع المؤرخين المتميزين بالتثبت والدقة.

في رسالة يقول فيها مخاطباً الأب الكرملي: «.. إنكم تخافون الكتابة إليّ لكي لا تلجؤوني إليها لأنها تضجرني، فجوابي لذلك إقراري بأني مقلّ في الكتابة، ولكن هذا الاقلال ليس إلى هذه الدرجة، ولا سيما في أجوبة مكاتيبكم..». وفي رسالة أخرى نفهم منها أن العلاّمة مصطفى جواد رحمه الله كان يغريه بتحقيق الجزء الثامن من كتاب (مرآة الزمان) لسبط ابن الجوزي وكذلك تأليف كتاب موضوعه تاريخ العراق يماثل فيه (تاريخ العراق بين احتلالين) للعزاوي، وقد رد قائلاً: «.. كذلك أشكركم على ما نقلتموه إليّ من كتاب مصطفى جواد بشأن الجزء الثامن من (مرآة الزمان)، وأشكر لهذا الصديق العزيز حسن ظنه بمقدوري على تصحيح أغلاط هذا التأليف سببها النسخ والتعليق عليه... فاني أعرف نفسي بأني لست بكفء للقيام بهذا العمل. أنا لا مقدرة لي إلاّ على تسطير بعض المقالات، أما مثل هذا المشروع فالذي عندي أنه لا يمكن أن يقوم عليه إلاّ الأستاذ المحقق المدقق مصطفى جواد وأمثاله. وأين أنا من اقتراحه الثاني وهو إن لم أوافق على الأول أن أؤلف تاريخاً للعراق حتى سقوط بغداد؛ أوازي به عمل الأستاذ العزاوي؛ وهذا لا شك أصعب من الأول..»[٣].

وهذا يفسّر لنا اقتصاره على تدبيج المقالات، إلاّ أنه اهتم في أواخر حياته

(١) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٢٣١٢ في ١٥/ ١٠/ ١٩٤٥م.
(٢) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٢٥٨١ في ١٦/ ٢/ ١٩٤٨م.
(٣) معن حمدان علي: المنتخب من رسائل يعقوب سركيس.

wadod.org

برحلة الرحالة العثماني محمد ظلي المعروف باسم أوليا جلبي، فترجم القسم الخاص بالعراق منها، وكانت المخطوطة في مرحلة التعليق والتهميش وإذا (بالمنية انشبت أظفارها) فتجهز على هذا الجهد الجليل فيضيع مع ما ضاع من تراثه.

اتصف مؤرخنا بالتواضع العلمي الذي اقترن بالسماحة والخلق الرفيع، والعجب هو إن لم يتصف بذلك، فهو في قمة نشاطه ولا يرى ضيراً من أن يطلب من الأب الكرملي ملاحظة ما يكتب، ففي رسالة له الى الأب يؤكد ذلك قائلاً: «.. وأرجو من حضرتكم أن تنظروا فيه لئلاَّ أكون قد غلطت في شيء..»[١].

ويتحدث أحد عارفيه عنه قائلاً: «لقد عرفت الراحل الفاضل من عشرين سنة، ونعمت بصحبته، وتمتعت بأحاديثه، وأفدت من علمه وفضله، وطالعت من مكنونات خزائنه ما شئت ورغبت فوجدته ـ مع ما بيننا من فارق في السن ـ نِعمَ الصديق الوفي الكريم، والرجل المهذب الوقور، والعالم المتخلق بأفضل الأخلاق، والمتتبع لسنن العدالة والحق، والمتسم بالرصانة والصراحة والصدق، لقد كان عصامياً بالرغم من ثروته ووجاهته، وكان معتدلاً في كل أموره، مبتعداً عن التفريط والافراط، وكان حليماً واسع الصدر، متواضعاً للصغير والكبير..»[٢].

وفاته:

لمس يعقوب سركيس أوصاب الشيخوخة حين تجاوز الثمانين بسنين (ومن يعش ثمانين حولاً ـ لا أبا لك ـ يسأم) فاعتكف في داره منقطعاً عن صحبه وخلاَّنه، مخلداً إلى وحشته وانفراده؛ لتحرجه من صممٍ أعياه وخطىً متثاقلة أتعبته، حتى وافته المنية في مساء الأربعاء ٢٣ كانون الأول ١٩٥٩م في الهزيع الأول من الليل.

وبذلك انطوت آخر صفحة ناصعة مشرقة من حياة شيخ وقور انصرف سحابة عمره الى البحث والتدقيق مدوناً صحائف من تاريخ وطنه، وتلك مشيئته تعالى، وهو أرحم الراحمين.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) مجلة المعارف النجفية.